أنا وكيل نيابة . . . !

أعيذ فطنتك أيها القارىء أن تحسبني ظفرت فجأة بهذا المنصب الخطير الذي يجعل لي من السلطان أن أقبض على من أشاء في أي وقت أشاء ، فما كنت وربك إلا صاحب هذا القلم المتواضع وصاحب هذا المنظار اللعين الذي يأبى إلا أن يقع بي على ما لست أحب ... ولكنه عنوان اقتضاه المقام

هذه مواقف ثلاثة من مواقف التحمس ، ولكنه تحمس رسمي والعياذ بالله ، فيه قبض وتحقيق وحبس ، أو هكذا ظهر لي ولمن شهده من الناس . ولقد سمعت هذه العبارة التي جعلتها عنواناً لكلمتي هذه بنصها وحروفها في كل من هاتيك المواقف الثلاثة

شهدت الموقف الأول وسمعت هذه العبارة وهممت أن أكتب ولكني آثرت العافية وأنف المنظار في الرغام ؛ ثم لم يكد يمضي يومان حتى وقع منظاري على الموقف الثاني وسمعت نفس الكلمة ، فجمعت أطراف شجاعتي ، ولكني ما كدت أشرع القلم حتى عدت فآثرت العافية واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ... ويأبى منظاري اللعين إلا أن يريني الموقف الثالث حيث سمعت العبارة بنصها ، وعندئذ لم يبق لي إلا أن أشهد على نفسي بالجبن أو أكتب ، فآثرت الثانية ، فوالله للضرم مع الشجاعة خير من العافية مع الجبن . وما كانت العافية لتدوم يوماً لجبان ...

أما الموقف الأول فكان في عاصمة إحدى المديريات ، وهناك سيارة عامة كبيرة ، لا يريد سائقها أن يبرح بها مكانها إلا أن تمتلىء بالركاب حسب العدد المقرر ، ولم يكن ينقصه لتمتلىء إلا ثلاثة أو أربعة ؛ وجاء شاب حدث في نحو الخامسة والعشرين يخطر في مشيته خطرة من يريد أن يشعر الناس بعظم مكانته ، وكان الوقت موعد الانصراف من الدواوين ، فما أن وضع رجله على سلم السيارة ليركب حتى أهاب بالسائق أن ينطلق بالسيارة ثم أثبت في وجهه نظرة حادة إذ رأى منه شيئاً من عدم المبالاة ؛ ورد السائق بقوله « حاضر لما يتم العدد » ؛ وثار الشاب وصاح بالسائق : « هيا . اسمع الكلام » ؛ ولم يزد السائق على أن ينظر إليه متعجباً ؛ ودق الشاب بيده على زجاج السيارة وهو يقول في تحمس شديد « أتدري من يكلمك ؟ أنا وكيل النيابة الـ ... » وقال السائق وقد داخله شيء من الرهبة « يا سيدي حاضر كلها نفرين أو ثلاثة »

ووثب الشاب من مكانه ونادى أحد « الكنستبلات » وأمره بالقبض على السائق معللاً له وظيفته . وما كان أشد عجب هذا الشاب وعجب الركاب والسائق قبلهم جميعاً بالضرورة حين سمعوا هذا الشرطي يقول « وإيه يعني وكيل نيابة ! » ... وكأنما سرت هذه الكلمة عن الناس فانبعثت ضحكاتهم على الفور عالية بحاجلة ...

ونادى الشاب وقد بلغ حنقه غايته أحد العساكر ، وكان هذا يعرفه فأسرع نحوه وحياه التحية العسكرية فأصدر إليه أمره بالقبض على « الكونستابل » بتهمة إهانة النيابة وسبقها إلى مقر التحقيق ونجا السائق المسكين . وهكذا مصائب قوم عند قوم فوائد.

وأما الموقف الثاني فقد شهدت شاباً كذلك يثب في أول ميدان باب الخلق فيدرك الترام ويتعلق به ، ثم يقف بباب الحريم لا يتزحزح ولا ينحرف ، يميل طربوشه ويبرز طرف منديله فيتدلى على صدره ، ويضبط ربطة عنقه ويصف شعر فوديه ، ويرسل النظرات الحادة إلى داخل المكان ، حتى جاء المحصل فنبهه في هدوء إلى ما لا يحمد من وقفته هذه ، فقال في غضب وعنف وتحمس شديد « موش شغلك . . اسكت » ؛ ونفخ المحصل في زمارته متحمساً كذلك فوقف الترام ؛ واشتدت حماسة المحصل واستغنى عن التلويح بالتصريح . وجن جنون ذلك الشاب ونزل وأمسك بذراعه وهو يقول « أتدري من تكلم .. أنا وكيل نيابة » ... وأخذ المحصل شيء من الخوف إذ أشار هذا الشاب إلى أحد العساكر ليقبض عليه . وتدخل بعض الناس ، وقبل الشاب بعد لأي شفاعتهم وترك المحصل قائلا له في كبرياء الظافر الذي يعفو عن قدرة « أما بارد قليل الأدب ، سمعيح » ... وتعلق المحصل بالترام وهو يقول إذ يدق كفاً